

# كمال عبد الجواد .. اللافتي

بقلم ماهر حسن البلوطي

حين صور عاملا من عمال تشغيل السفن ، سعيذا بعمله الذي يحبه ، حتى يخرج عن هذا الشعور تعليق قالته ابنة صاحب السفينة التي يعمل عليها ، فيحترق عمله من جراء ذلك ، ويفقد شعوره بالانتماء ويبدأ في مواجهة سلسلة من المتاعب لمحاولته التهجيم على الناس ، ثم يحاول ربط نفسه باحدى الجماعات فيفشل في ذلك وفي كل شيء يحاول ان يشد نفسه اليه . وينتهي الامر بان تقتله احدى الغوريلات الضخمة حين يحاول ان ينشئ صداقة معها ، كآخر شيء يأمل في الانتساب اليه بحكم الاصل الواحد الذي قال (( داروين )) به .

وهذه الظاهرة - ظاهرة الانتساب الى شيء - هي من أهم العوامل التي حددت شخصية كمال . وهي ترتبط عنده بظاهرة اخرى ، هي فقدان الايمان بمثل كان يقدرها حق قدرها . فكانت اول صدمة يتلقاها فيما يتصل بذلك ما حدث له حين اكتشف في مطلع حياته ان مسجد الحسين لا يحوي جسد ابن الخليفة علي ، على مثل ما كان يعتقد سابقا ، وتركه ذلك الاكتشاف في خلاء روحي وألم عميق ، غير ان تلك الحادثة لم تكن سوى ارهاص بما سوف يصادفه بعد ذلك ، حين ربط نفسه بحب عابدة شداد .

والحديث عن علاقة كمال بعابدة يستلزم عناية اكثر في معالجته . وأحب ان انفي منذ البداية فكرة لا بد وان تجول في ذهن كل من يقرأ الرواية ، وهي ان هذا الحب ان هو الا حب رومانسي من الذي ندر به فيه ومتابعة آثاره التي نجمت عنه تتبين خطل هذه الفكرة . وكمال نفسه في فترة صبا الذي سرعان ما يخبو غير مخلف وراءه شيئا ، فبالتململ يقول بعد ذلك وقد حفرته تجربته اثارها الهائلة في روحه : « واحذر ان تسخر من احلام الشباب فما السخرية منها الا عارض من اعراض مرض الشيخوخة يدعوه الرضى بالحكمة » (٢) . فحب كمال كان السبب المباشر الذي رمى به في شعوره بالغربة عن العالم وعن الحياة ، وكان المثل الذي آمن به فأورده في النهاية الى ان اصبح كافرا بكل المثل الموجودة والتي لم توجد ، وكان دينه الذي انتهى به الى اللاحاد . فحب كهذا الحب لم يكن عاديا مألوفا كالذي نشاهده او نسمع به ، بل كان وجودا بأكمله وحياة قائمة بذاتها . فبغير هذا الحب لم يكن كمال يشعر بان له وجودا او كيانا ، فاذا انمحي هذا الحب فقد احساسه بالوجود ، وهو ما يحدث بالفعل . ويذكرنا ذلك بعطيل شكسبير حين يقول عن حبه لديزدمونة :

« انني أحبك حتى لو هلكت روحي

فاذا ضاع هذا الحب يوما

عاد الفراغ والسديم ثانية الى حياتي » (٤) .

ويتأكد لدينا هذا المعنى حين نتأمل قليلا مظاهر هذا الحب في تفاصيله الدقيقة . فعابدة هي التي أصاءت حياة كمال وفتحت روحه على افاق لا تحد . وقد قال لها مرة في حديث له معها حين كاشفها بشعوره نحوها وهما سائران في طريق الصبسية بعد مرور مدة لم يرها فيها : « افنعتني هذه التجربة القاسية بأنه اذا كان مقدورا علي ان تختفي من حياتي فمن الحكمة ان أبحث لي عن حياة أخرى » (٥) . وهي كانت،

(( ... انه من المستحسن دائما ان يتأمل الانسان ما يراود نفسه من احلام ، على ذلك فالتصوف هروب ، كما ان الايمان السلبي بالمسلم هروب ، واذن فلا بد من عمل ، ولا بد للعمل من ايمان ، والمسألة هي كيف نخلق لانفسنا ايمانا جديدا بالحياة )) (١) .

هذه الرغبة في ايجاد هدف يربط الانسان نفسه اليه ويسعى الى تحقيقه هي ما تعطي للحياة شكلا ومعنى ، وهي كل ما يسعى اليه من وجد نفسه في الموقف الذي يقف فيه كل لا منتم . واللافتية ليست مذهبا من المذاهب الموضوعية كالوجودية او الرومانسية مثلا ، فليست هناك قوانين تحددها وتعرفها ، انما هي سلوك ينتهجه المرء نتيجة لتجارب مر بها او لمشكلات عانى منها . فهذه التجارب وهذه المشكلات تصوغ اتجاهه وموقفه صياغة جديدة ، وتكشف عن اتجاهات اخرى يجد نفسه فيها مدفوعا الى انتهاج مسلك معين في حياته . وعلى ذلك فاللافتية لا يولد لامنتها ، بل تدفعه ظروف ومحيط حياته الذي يعيش فيه الى ان يتأمل داخل نفسه وفي طبيعة الاشياء التي تحوطه ، حتى ينتهي الى هذا الموقف الذي يتخذه تجاه الحياة عامة . وليس هناك من سبب واحد ، ولا حتى سبب رئيسي ، يكون هو المسؤول عن اندفاع أي امرئ في هذا التيار ، انما هي عدة عوامل مختلفة تتجمع في سبيل ذلك ، معقدة تعقيد النفس التي تصادفها ، وعميقة عمقها . فاذا ذكرنا هنا عدة أسباب من هذه العوامل ، او تناولنا شخصية اللافتية من عدة جوانب مختلفة ، فان ذلك لا يعني ان هذه هي كل الاسباب والجوانب .

فهناك كما ذكرنا هذه الحاجة الطبيعية التي يشعر كل فرد حيي بضرورة وجودها ، وهي ان يجد شيئا يرتبط به ، وهذه الرغبة تستمد فعاليتها وقوتها من وجود الانسان في حياة لا يدري عنها ولا يعرف سببا لوجوده فيها . وفي هذه اللافتية الميته تنزع النفس الى ايجاد علة لذلك الخلق ، فيهب الفرد نفسه الى شيء ما يكرس وجوده من اجله ، ويربط نفسه به برباط قوي مشدود ، ويجد فيه حياته والسبب الذي خلق من اجله . وهو يشير في هذه الحالة بوجود قوانين تحكم الحياة والناس ، فيخضع لها ويكيف سلوكه نمشيا معها ، ويصبح منتشيا متفقا مع البيئة التي يعيش فيها . وهذا الشيء الذي ينتسب اليه الانسان ليس محسودا مقصورا ، بل قد يكون أي شيء . فقد يكون العمل ، وقد يكون مبدأ من المبادئ او فكرة من الافكار ، الى ما شابه ذلك من الاشياء .

ولكن ذلك الاتفاق لا يحدث على الدوام ، فقد لا يجد المرء ما ينتسب اليه منذ البداية ، او قد يفقد « شعوره بالانتماء » الى شيء ما ، وهنا تكون نقطة التحول المركزية التي تطوح بشعور الاستقرار الذي يحسه الفرد العادي ، ويدخل في مرحلة صراع - اما داخلي مع نفسه واما خارجي مع المجتمع ، ويتخذ الصراع الداخلي شكلا هادئا مترسبا في النفس وهو ما يحدث في حالة كمال عبد الجواد في ثلاثية نجيب محفوظ ، اما الصراع الخارجي فله شكل تائر يتمثل في الخروج على القانون او اثاره الشعب . وقد عبر « يوجين اونيل » (٢) عن هذه الحالة تمام التعبير في مسرحيته « القرد الكثيف الشعر » (The Hairy Ape)

(١) السكرية فصل ٥٤ ص ٢٩١ .

(٢) كاتب مسرحي أمريكي توفي عام ١٩٥٣ ، وحائز على جائزة نوبل

للآداب .

(٣) قصر الشوق . فصل ٤٠ ص ٤٢٧ .

(٤) عطيل لشكسبير الفصل الثالث المنظر الثالث ، سطر ٩٠ - ٩٢ .

(٥) قصر الشوق فصل ٢٣ ص ٢٧٩ .

أولا وأخيرا ، « معبودته » ، وقال بعد فراقه عنها : « ولكن أين يمضي الشعور الباهر الرائع الذي نور قلبه أربعة أعوام ، لم يكن وهما ولا صدى لوهم ، انه حياة الحياة ، ولئن تسيطر الظروف على هذا الجسد فاي قوة تستطيع ان تتناول على الروح ، وهكذا لتبتين المعبودة معبودته والحب عذابه وملاده ، والحيرة ملهاته ، حتى يفغ امام الخالق يوما يسائله عما حيره من معضلات الامور » (٦)

وكانت عابدة المثال الذي أقامه في نفسه للجمال والكمال، حتى انه لم يصدق انها بشر تسري عليها القوانين الطبيعية كالحسب والسزواج والولادة :

« واقلباه ! أيليق هذا العبت بالمالي ! ، أبحسب الشرير ان المعبودة تحبل وتتوحم وتنداح بطنها وتكثور ثم يجيئها المخاض فتلد ! » (٧).

ثم يقول في حفل زفافها الى حسن سليم : « ان المعبودة نفسها نزلت من علياء السماء لتقتن بواحد من البشر ، ليتفتت قلبك حتى يجزرك لمؤجزائه المتناثرة » (٨) . وكان الحب هو حياته حتى انه كان يؤرخ كل شيء به ، فكان يقول ان هذا حدث ق . ح أو ب . ح . أي قبل الحب وبعد الحب .

وقد أدى هذا الحب الذي دعم به كمال حياته ووجد فيه كيسانه الى كونه منتشيا مثاليا ، فنجدته متفقا مع بيئته التي يحيا فيها تمام الاتفاق ، فهو متحمس أبدا لمبادئه السياسية ولآمال رفاقه من أبناء الشعب لنصرة قضية بلاده ، ونشعر نحن القراء بحرارة إيمانه بذلك ، على عكس ما يحدث منه في « السكرية » فهو يناقش ويحضر الاجتماعات ولكنها نستبطن انها مجرد مشاركة سلبية ، ليست لها الحرارة التي كان يفتتها كمال فيها سابقا . وهو مؤمن بالقوانين الوضعية والسماوية، مؤمن بدينه إيمانا لا حد له ، حتى انه يابى ان يشرب البيرة أو يسألك لحم الخنزير حتى ولو كان من يقدمها اليه عابدة شداد نفسها ، وهو لا يرضى ان يرافق صديقه فؤاد الحمزاوي لمقابلة قمر ونرجس صديقتيهما القديمتين ، ويرجع ذلك السلوك الى أسس دينية ومثالية . وهو بلا شك سعيد بهذا الانتماء وهذا التوافق ، بغض النظر عن انه يحب حبا من طرف واحد او بدون نتيجة ترجى .

ولكن هذا الانتماء لم يكن مقدرا له ان يدوم ، فكما خيب ضريح الحسين امله ، خيبته عابدة شداد كذلك ، فافاق يوما على زواجها من حسن سليم صديق الجماعة . ومع انه لم يطعم يوما في الزواج منها فان ذلك لا يمنع انها قد فارقته فعلا ولم يعد يراها ، وليس له ان يفكر في حبه لها بعد ذلك . اما التأثير الذي جاء به غياب عابدة في نفس كمال فلم يحدث بفتنة او بين يوم وليلة ، بل بدأ الهاثلا اجتاحت روحه وظل يترسب في قاعها ثم انسحب على حياته كلها بعد ذلك . انظر الى مدار افكاره حال سماعه خبر خطبة عابدة : « وراح يستجدي نفسه أقصى ما لديها من قوة ليستر جرحه الدامي عن الميوان اليواقظ ولينفادي من مواضع الهزء والزراية ، تجلدي يا نفسي وانا أعدك بان تعود الى هذا كله فيما بعد ، بان تتالم معا حتى نهلك ، وبان نفكر في كل شيء حتى نجن ، ما أمتع هذا الموعد في هداة الليل حيث لا عين ترى ولا أذن تسمع ، حيث يباح الالم والهذيان والدموع دون زراية زار او لومة لائم ، وثمة البئر القديمة أزح عن-فوهتها القطاء واصرخ فيها مخاطبسا الشياطين ومناجيا الدموع المتجمعة في جوف الارض من أعين المحزونين، لا تستسلم ، حذار ، فالدنيا تبدو لناظريك حمراء كعين الجحيم » (٩) . ذلك كان الاثر المباشر ، الحزن والنهول الذي يفرق الحواس ، ثم يجيء وعيه بموقفه الحالي بعدما حدث - بعد زوال أو ابتعاد من كان ينتهي اليهم ، وهو بداية تقضض حياته الهادئة ، حياته كمنتم ، ونهاية لهسا : « عابدة وحسين في أوروبا ! ، انسان يفقد في ساعة واحدة حبيبسه

وصديقه ، تفقد روحك معبودها فلا تجده ويفتقد عقلك أليفه فلا يجده ، وفي الحي المتيق تعيش وحيدا مهجورا كأنك صدى حنين هائم منسذ أجيال ، تأمل الالام التي ترصدك ، ان لك ان تحصد ثمار ما زرعت من آلام في قلبك الفر ، توسل الى الله ان يجعل الدموع دواء للاحزان، وعلق ان استظمت جسمك بحبال المشانق أو وضعه على رأس قوة مدمرة تنفض بها على العدو ، غدا تلقى روحك خلاء كما لقيت بالامس ضريح الحسين يا خيبة الامل » (١٠) .

وينهار الصنم الذي أقامه في قلبه لمعبودته بعد زواجها ، وقسد وضعه هذا الزواج امام الحقائق التي كان يتجاهلها ، فعابدة بشر عادي تخضع للشوق والحب والزواج والولادة ، وسائر القوانين التي تسري على غيرها . ويزيد في ذلك ما قاله صديقه اسماعيل لطيف من ان عابدة قد استغلت حب كمال لها للاسراع في الظفر بحسن سليم زوجا لهسا، فهبط الصنم من علياء سمائه وتمرغ في الوحل « بعد حياة عريضة فوق السحاب » . وانتهى الامر بكمال الى القول : « لم أعد من سكان هذا الكوكب ، غريب أنا وبنيفي ان احيا حياة الغريب » (١١) وبات يتحدث عن العالم الفاني وآماله الخاوية وأحلامه الطائشة .

ومنحه الالم العميق الذي جلبه عليه تجربته القريبة في حب عابدة انعاما للنظر في الامور لا يتأتى للشخص العادي ، وانعكس تفكيره في حبه على تفكيره في كل الاشياء . ولكن الاثر الرئيسي الذي عاد عليه من تحطم حبه بعد زواج عابدة هو فقدانه الايمان بالحب ، وهو ما كان يعتقده من أسمى المثل والقيم في الحياة ، فقدد ايمانه بالحياة تبعا لذلك ، وصار يتناول كل ما يعن له من الافكار بالبحث والتحليل، والنهب فؤاده بالشك في كل شيء ، فصار المؤمن القديم الذي ما كان يرضى لاحد ان يتعرض للدين بشيء ، ملحدا ناكرا للدين ، ولا عجب في ذلك: ألم تكن عابدة هي دينه؟! وانعكس ذلك على بقية سلوكه ، فشرب الخمر وهو الذي لم يرض أن يتذوق البيرة سابقا ، وغشى دور الدعارة مع ياسين أخوه الأكبر بعد ان عافت نفسه قبل ذلك ما كان يفعله مع قمر ونرجس .

ولكن هذه الاشياء - الخمر والنساء - نخذله كما خذلته عابده من قبل ، ولا يجد فيها أي حقيقة يمكن أن تريحه في هذا الكون الزائف : « أين ذهبت نشوة الخمر الساحرة ؟ وما هذا الكرب الخائق الذي حل محلها ؟ ما أشبهه بخيبة الحب التي ورثت أحلامه السماوية » (١٢) ويتلفت حوله في حيرة بالغة باحثا عن الطريق ، عن الحقيقة ، وهي الحيرة الحققة التي يتسم بها كل منتم اصيل .

تكشفت له جميع الاشياء عن وهم كبير ، مسجد الحسين - حبه العظيم - الدين - الخمر الجنس ، فلم يجد في أي من هؤلاء تفسيرا للذي ينشده . حتى أبوه الذي ظهر له قبل ذلك عظيما قويا جبجبارا، تكشف له في آخر الامر عن رجل عادي غارق لاذنيه في الخمر والمرح مع العوالم والراقصات : « هذه القوة الجبارة التي يخافها كل الخوف، يخافها ويحبها معا ، ما كنهها ؟ ليس الا رجلا لولا مرحة الذي خص به الغريب لم يكن شيئا ، فكيف يخافه ؟ وحتى متى ينعن لقوة هذا الخوف ؟ انه وهم كسائر الاوهام التي امتحن بها » (١٣) ويعصف به الفكر حتى انه يردد : « تأمل هذه المعجائب ، أنت وياسين تشاربان ! أبوك شيخ ماجن ! هل ثمة حقيقي وغير حقيقي؟! ما علاقة الواقع بما في رؤوسنا ، ما قيمة التاريخ ؟ ، ما العلاقة بين عابدة المعودة وعابدة الحيلى ؟ ، أنا نفسي ما لنا ، لماذا تأملت لذلك ، الالم الوحشي الذي لم أبرأ منه بعد ؟ اضحك حتى تنفق » (١٤) . ويذكرنا قوله عن علاقة الواقع بما في رؤوسنا بما قاله أمير المتردين في مسرحية شكسبير :

- (١٠) قصر الشوق فصل ٢٤ ص ٢٩٠ .
- (١١) قصر الشوق فصل ٣١ ص ٣٥٥ .
- (١٢) قصر الشوق فصل ٢٧ ص ٤١٠ .
- (١٣) قصر الشوق فصل ٣٧ ص ٤١٠ .
- (١٤) قصر الشوق فصل ٣٦ ص ٤٠١ .

- (٦) قصر الشوق فصل ٣١ ص ٣٥٦ .
- (٧) قصر الشوق فصل ٢٤ ص ٢٨٩ .
- (٨) قصر الشوق فصل ٣١ ص ٣٤٢ .
- (٩) قصر الشوق فصل ٢٤ ص ٢٨٦ .

« ليس هناك شيء طيب وشيء سيء .  
ولكن تفكيرنا هو الذي يجعله كذلك » .

وهكذا تكاثفت كل هذه العوامل تدريجيا حتى انتهى بها الامر الى التبلور في نفسية كمال ويتبلور تبعاً لها الموقف الذي اتخذته تجسّاه الحياة . ويظهر لنا ذلك التبلور في الفصل الاربعين من «قصر الشوق» الذي اعتبره قمة للتحوّل وبداية لحياة كمال الجديدة كلامنتم، كغريب عن الحياة وعن البيئة وعن كل شيء . وجميع الذين كتبوا عن اللامنتمية او اللامنتمين يذكرون لحظات كهذه التي مرت في هذا الفصل ويسموننها لحظات الإدراك - حين يقف المرء وحيدا وقد اکتملت في نفسه ادراك حقيقتها الفعلية أو تكشفت لها حقائق جديدة . فقد بدأ كمال يبحث في أمر وجوده في هذه الدنيا وعن الغاية من هذا الوجود وقد اصطبغت نظرتة بالمادية الصرفة ، وهي نهاية طبيعية للذي فقد ايمانه بكل الاشياء والقيم . وتكتشف له الحقيقة الكبرى التي تشكل الفكرة اللامنتمية وتشغل بال اللامنتمي وجميع من كتبوا عن هذا السلوك ، وهي الإدراك الذاتي بعدم وجود أية غاية من وجودنا أو ورائه ، وان وجود هذا العالم ووجود البشر فيه ما هو الا محض صدفة، وما وجود الفرد نفسه في الحياة الا صدفة أيضا . وقد عرف « كولن ولسون » الكاتب الانجليزي المعروف، عرف اللامنتمي بقوله : « انه الانسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحياة الانسانية من أساس واه ، والذي يشعر بأن الاضطراب والفوضى هما أعمق تجذرا من النظام الذي يؤمن به قومه » (١٥) . فيصحو المرء فجأة على هذه الحقيقة الرهيبة وهو الذي اطمأن الى قول من سبقوه ان الانسان ما هو الا مركز الكون الذي لم يخلق الا من اجله وانه - أي الانسان - قد خلق خلقا خاصا لغاية سامية عظيمة . يصحو المرء على هذه الحقائق كما صحا كمال عبد الجواد في نهاية « قصر الشوق » فيشعر بتفاهة الحياة عموما وتفاهة الانسان الذاتية على وجه الخصوص . وملاّت هذه الافكار رأس كمال : « وعن الصفوة المختارة من أبناء السماء فقد رفعوا الارض الى مركز الكون وجعلوا الملائكة تسجد للطين حتى جاء أخوهم كوبرنيكس فانزل الارض بحيث أنزلها الكون جارية صغيرة للشمس، ثم تلاه أخوه داروين فهنك سر الامير الزائف واعلن على الملأ ان ابسائه الحقيقي هو حبيس ففص الذي يدعو الاصدقاء للتفرج عليه في الاعياد والمواسم » (١٦) .

بهذه المرحلة اذن بدأت حياة كمال كلامنتم ، هذه الحياة التي عرضها لنا نجيب محفوظ في القسم الثالث من الرواية «السكرية» ، فنجده وقد فصل نفسه عن احداث الحياة اليومية التافهة ، وانعزل ،

(١٥) مقدمة الطبعة العاشرة لكتاب اللامنتمي سنة ١٩٥٦، ترجمة

انيس زكي حسن .

(١٦) قصر الشوق فصل ٤٠ ص ٤٢٩ .

## فندق نيوبالاس

إدارة: فتحى نوفل

جناح خاص  
للعائلات  
أسعار معتدلة  
مصعدان حديثان



وسط راق  
خدمة ممتازة  
مياه ساخنة  
تليفونات بالغرف

ت : ٤٥٩٣٦  
س : ٧٩٧٩١

١٧ شارع سليمان الحلبي  
(دوبريس سابقا) القاهرة  
تلف سينالوكس بمارالدين

New Palace Hotel 17 Sh. Soliman el Halaby  
Telephone 45936 - Cairo

في محيط قراءاته وافكاره ، ملتصقا - مثل كل من آفاق على حقيقة الحياة والوجود ، كل لا منتم - حلا ومنفذاً يهرب فيه من هذه التفاهة واللاغائية : « هذه السويغات الموهوبة للفلسفة التي تمتد حتى منتصف الليل هي أسعد أوقات يومه ، وهي التي يشعر فيها على حد تعبيره بأنه انسان ، أما بقية اليوم الذي يقضي في عمله كمدرس بمدرسة السليحدار الابتدائية او في اشباع شتى مطالب الحياة الضرورية فمداره الحيوان الكامن فيه ، المستهدف أبداً تأمين ذاته وتحقيق شهواته » (١٧) . وهو قد رغب عن الزواج لان الزواج في نظره يمثل نوعاً من الثبات السذي قد يقضي على حريته التي هي كل رأسماله في طريقه المصني للبحث عن الحقيقة ، « ثم أنه حائر يداخله الشك في كل شيء والزواج نوع من الايمان ، » فكيف اذن يندرج في قائمة المؤمنين وهو الذي وهب حياته للبحث عن حقيقة الحياة والتي تتطلب الشك في كل شيء !؟

واستعان نجيب محفوظ في روايته بوسيلة أدبية استخدمها شكبير في جميع مسرحياته لمساندة رسم الشخصية و اظهار بعض الصفات فيها بطريقة واضحة ، وهي طريقة الاضداد Fools ، فقدم لنا شخصية اسماعيل لطيف ليزيد في اظهار شخصية كمال كما أرادها ، تماما كما يضع الرسام اللون الاسود في مهاد لوحته ليبرز اللون الاحمر مثلا الذي استعان به فيها . فنرى اسماعيل لطيف وقد تزوج وأنجب الاطفال، ولم يعد فكره مشغولا سوى بزوجته واطفاله وأخبار الدرجات والعلاوات ، وهي الحياة التي ينفر منها كمال ويود الهرب منها بأي سبيل ، فهو على نقبض اسماعيل تماما ، فقد قادته الغربة التي ارتمى فيها الى الصورة الحقة للامنتمي الذي قال عنه « باربوس » ، « انه الشخص الذي يرى أعمق وأكثر مما يجب » . فكمال لا تروق هذه السطحية الالية التي يحياها من حوله ، بل يطمح الى حياة أخرى حقيقية، وهو لا يكف - ككل لامنتم - عن الملاحظة والتأمل واعمال الفكر في كل صغيرة وكبيرة أمامه ، ولا يني يحلل أي شيء يصادفه حتى لو كان ذلك مناسبة موت أقر شخص لديه: « وخجل من نفسه اذ نزعّت لحظات الى تحليل الموقف ودراسته ، كان احتضار ابيه يجوز ان يكون زادا لتأمله ومادة لمعرفته » (١٨) . وهكذا كان دأبه دائما ، كما يظهر لنا من احاديث نفسه التي يقدمها لنا المؤلف كل حين في براعة فنية تذكرنا بتيار الوعي عند جيمس جويس وزملائه .

ثم تصادف كمال تجربة اخرى عميقة ، فان حياته الغريبة كلامنتم يبحث عن سبب او هدف يرجع له وجوده في الدنيا لا تخلو من بريق لمثل هذا الامل ، وقد تمثل له في شخصيته بدور شداد ، فقد خيل اليه انها احياء للفكرة او للحب الذي شده قديما الى الحياة ، واعتقد انها ستكون خلاصه ، وانها الحل المناسب للحالة التي وجد نفسه فيها . « ولكنه ما ان رأى بارقة نور في ظلمة حياته الداكنة حتى انطلق يتمسسته وهو لا يلوي على شيء مدفوعا بقوى هائلة من اليأس والاشواق والامل، غير مبال بما قد يعثر به في طريق محفوظ بالتزمت والتقاليد من ناحية ، وبالشباب المتوثب للسخرية من ناحية اخرى » (١٩) . فهو يندفع في الطريق اليها ، ناشدا خلاصه ونجاته من بحر الحيرة العميق الذي غرق فيه ، غير انه يفشل في النهاية في تحقيق أي نتيجة ايجابية في علاقته مع بدور ، ولا يرجع هذا الى قصور ذاتي في نفسه أو في وسائله - فهو كما قال لو أراد الزواج من هذه الفتاة ما اعترضه عائق جدي - ولكنه يرجع الى ادراكه العميق المستكن فيه بأن لا حل هناك لهذا الوجود غير المبرر ، واذا كان هذا الزواج لن يقدم له ما ينشده من هذا الحل ، فانه سيرمي به فوق ذلك الى نمط من الحياة هو الموت ذاته بالنسبة اليه ، حياة الزواج والاسرة والاطفال والانهماك الكلي في السعي وراء الرزق وترك جهاده الازلي في البحث عن الحقيقة .

وجميع الذين كتبوا عن اللامنتمي أو بحثوا مشكلاته ، لم ينته أي منهم الى حل لهذه المشكلات أو هذه الحياة ، وهذا أيضا ما تبينه الحياة

(١٧) السكرية فصل ١ ص ١٦ .

(١٨) السكرية فصل ٢٧ ص ٢٦٦ .

(١٩) السكرية ص ٢٠٣ .

## تتمة كمال عبد الجواد

# مجموعة ديوان العرب

مجموعة ديوان العرب

تصدر بإشراف لجنة من المحققين

\*\*\*

صدر منها :

ق . ل	
١٠٠٠	١ - ديوان المنسي
٥٠٠	٢ - ابن الفارض
٤٠٠	٣ - عبيد بن الأبرص
٤٠٠	٤ - امرئ القيس
٥٠٠	٥ - عنتره
٦٠٠	٦ - عبيد الله بن قيس الرقيات
٧٠٠	٧ - ابن فراس
٣٥٠	٨ - عامر بن الطفيل
٣٥٠	٩ - الخنساء
٣٠٠	١٠ - زهير بن أبي سلمى
٣٥٠	١١ - النابغة الذبياني
٦٠٠	١٢ - ابن زيدون
١٥٠٠	١٣ - ابن حمديس
١٠٠٠	١٤ - جرير
٣٠٠	١٥ - شرح المعاني السبع للزوزني
٦٠٠	١٦ - سقط الزند لابي العلاء المعري
٢٥٠٠	١٧ - اللزوميات لابي العلاء المعري جزآن
١٧٥٠	١٨ - ديوان الفرزدق جزآن
٥٠٠	١٩ - الاعشى
٥٠٠	٢٠ - أوس بن حجر
٣٥٠	٢١ - جميل بثينة
٣٠٠٠	٢٢ - الشريف الرضي جزآن
٢٥٠	٢٣ - طرفه بن العبد
٨٠٠	٢٤ - عمر بن أبي ربيعة
٥٠٠	٢٥ - حسان بن ثابت الأنصاري
١٠٠٠	٢٦ - ابن المعتز
٦٠٠	٢٧ - ابن خفاجة
٢٠٠٠	٢٨ - البحري جزآن
٥٠٠	٢٩ - ترجمان الأشواق لابن العربي
١٧٥٠	٣٠ - صفي الدين الحلي
١٥٠٠	٣١ - ابي نواس
٢٥٠	٣٢ - حاتم الطائي

الناشر : دار بيروت - دار صادر

التي عاشها اللامنتوم الاحياء، فطبيعة هؤلاء وأولئك هي الحيرة الدائمة. وقد اهتمت بعض المفكرين ممن ينتمون الى مذهب يبدأ في اساسه بنفس القاعدة التي يهتدي اليها اللامنتمي - وهي أنه ليس هناك ما يبرر هذا الوجود ولا غاية من ورائه ، وهذا تبسط صورة لاساس مذهب الوجودية. اهدوا الى مخرج من هذه التفاهة الوجودية بما سموه الالتزام بقضية الحرية . فلكي يضفي المرء على ذاته وحياته صفة الوجود الانساني الحق ، عليه ان يدرك انه حر في الاختيار غير مقيد ، وعليه ان يلتزم بهذه الحرية وبحمايتها عند نفسه وعند الآخرين . ومعنى ذلك ألا يرتبط المرء بعقائد او افكار تفرض عليه أو ينشأ عليها ، بل يجب ان يحرر نفسه من كل قيد ، ويؤمن بما يعتقد فيه اعتقادا قائما على التجربة والايان الداخلي. ونجد كمال في اخر « السكرية » ينزع الى مثل هذه الحالة من طلب الايمان القائم على الاختيار الواعي ، فهو يكرر ما قاله احمد ابن اخته في هذا الشأن : « اني أؤمن بالحياة والناس، هكذا قال ، وارى نفسي ملزما بانباع مثلهم العليا ما دمت اعتقد انها الحق » اذ النكوص عن ذلك حين وهروب، كما أرى نفسي ملزما بالثورة على مثلهم ما اعتقدت انها باطل اذ النكوص عن ذلك خيانة ! » ( ٢٠ ) .

ويبرز عليه هذا التيبان كالفجر بعد الليل الطويل ، ويمكن ان نستدل من ذلك على ان كمال قد وجد ان هذه السلبية التي انتهت اليها لا يمكن بحال ان تكون حلا لحياته ووجوده ، انما الحل في النزول الى الحياة واختيار الصالح منها والثورة على ما لا يتفق ونفسه ، فان اهم ما في حياة الانسان هو حريته في التعبير عما يدور في نفسه ، سواء كان هذا التعبير متفقا مع رأي المجموع أو مختلفا ومعارضاً له . ان هذه السطور القليلة في اخر « السكرية » توضح التحول الذي كان ممكناً ان يظهر في كمال عبد الجواد لو صورته لنا المؤلف بعد هذه الحوادث، ذلك التحول الذي يأتي كالفجر الجديد ، كما حدث « لميرسو » في غرب « البير كامي » حين ثار في نهاية حياته وتبين ان معنى الحياة لا يكمن في السلبية وعدم الاكترات ، بل هو في التعبير عن النفس سواء كان بالاتفاق مع المجتمع او بالثورة عليه وعلى نظمه ، مما يحقق للمرء الوجود الذاتي . وتذكرنا السطور السابقة من السكرية برواية جيمس جويس المسماة « صورة للفنان في شبابه » as « A Portrait of an Artist as a Young Man » ، حين يتخبط « ستيفن ديدالوس » الفنان الشاب باحثاً عن معنى لحياته بعد ان ثار على الدين ورفض ان يرتبط به في حياته وعمله ، ثم يتبثق هدفه اخيراً بعد تجاربه التي مر بها ، ويمس منه بقوله :

« لنأخذ ما لم أعد أؤمن به ، سواء كان ذلك : المنزل أو الوطن أو الدين ، وسأحاول ان أعبر عن نفسي في الحياة أو في الفن على أكمل الصور الممكنة وأصدقها ، مدافعاً عن نفسي بتلك الاسلحة التي لا اسمح لنفسي باستخدام غيرها : الصمت ، النفي ، المهارة » ( ٢١ ) .

وقد رسم جويس في روايته هذه صورة لصراع الفنان ، ووقف في نهايتها على اكتشافه للطريقة المثلى لتحقيق وجوده الانساني ، ثم قدم لنا بعد ذلك هذا الفنان في ممارسته الفعلية التطبيقية لهذه الافكار التي انتهت اليها ، فقرأه وقد نفى نفسه الى باريس ، في الرواية الطويلة المقعدة « بوليسيس » Ulysses . وكذلك قدم لنا نجيب محفوظ في الثلاثية تطوراً لحياة كمال عبد الجواد من تجاربه التي رمت به الى اللامنتمية حتى هذه النهاية الفاضلة التي انتهت اليها في « السكرية » ، وبقي عليه ان يتبع الثلاثية باخت رابعة يقدم لنا فيها كمال في مرحلة الصراع من اجل التعبير عما توصل اليه ، ومن اجل تطبيق افكاره النظرية التي انتهت اليها على حياته العملية ، فهل يفعل يا ترى ؟

وزارة التعليم العالي ، القاهرة ماهر حسن البطوطي

( ٢٠ ) السكرية فصل ٥٤ ص ٣٩٥ .

( ٢١ ) « صورة للفنان في شبابه » لجيمس جويس ، ص ٢٥١ طبعة

جوناثان كيب .